

التاريخ اليهودى فى الولايات المتحدة

" يبدو - للوهلة الأولى - وكان النظام الاقتصادى لأمريكا الشمالية قد تطور بشكل مستقل عن اليهود، ورغم تلك المقولة فأنا مازلت أتمسك بما أكدته من أن الولايات المتحدة (ربما أكثر من أى دولة أخرى) قد امتلأت للحافة بالروح اليهودية. وقد بات هذا أمرًا معروفًا فى أماكن عدة ولاسيما تلك التى سكانها أكثر قدرة على تقييم مثل هذا الموضوع....

فى مقابل تلك الحقيقة، أليس هناك مبرر لوجهة النظر القائلة بأن الولايات المتحدة تدين بوجودها لليهود؟ وإذا كان الأمر بالفعل كذلك، كم مرة إذن يجب التأكيد على مقولة إن النفوذ اليهودى هو الذى أفضى بالولايات المتحدة إلى ما هى عليه الآن، بمعنى آخر كونها أمريكية؛ فما نطلق عليه "الهوية الأمريكية" "الأمركة" ماهو إلا الروح اليهودية لكن بعد أن ردت إلى أصلها ."

(ويرنر سومبارت ' اليهود ورأس المال الحديث' صفحاتى ٤٣٨ و٤٣٩).

* * *

يؤرخ للوجود اليهودى فى أمريكا مع قدوم المستكشف كريستوفر كولمبس. فقد شهد يوم ٢ أغسطس ١٤٩٢ حادث طرد ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ ألف يهودى من إسبانيا، وهو الحدث الذى كان مؤشرا لبداية الأفعال لهيبة إسبانيا، وفى اليوم التالى أبحر كولمبس باتجاه الغرب مصطحبًا معه جماعة من اليهود الذين لم يكونوا بأى حال من الأحوال لاجئين، ولكن على ما يبدو أن خطة الملاح أثارت تعاطف اليهود ذوى النفوذ لمدة طويلة من قبل. ويخبرنا كولمبس نفسه بأنه اعتاد الاجتماع والتحدث مع اليهود. وللتدليل على مدى عمق العلاقة بين الطرفين بعث كولمبس بأولى خطاباته التى يشرح فيها تفاصيل اكتشافاته لصديق يهودى، وهو يعتبر بأن اليهود كانوا سببًا رئيسيًا فى تدشين الرحلة التاريخية التى أضافت لمعرفة وثروات البشرية "النصف الآخر من الكرة الأرضية"، أما القصة السارة بأن الملكة إيزابيلا قد باعت مجوهراتها لتمول الرحلة فقد اختفت تماما من وثائق البحث. الرواية

السائدة تقول بوجود ثلاث "مارانوس" [أويهود سريين]، تمتعوا بنفوذ عظيم في البلاط الملكي الإسباني وهم: لويس دو سانتاجيل الذي كان تاجرا مهما من فالنسيا كما شغل منصب "فلاح" للضرائب الملكية، وقريب له اسمه جابرييل سانشيز كان أمين الخزائن الملكية، وصديقهم رئيس البلاط الملكي خوان كابريرو. هؤلاء الثلاثة عملوا باجتهاد للتأثير على تفكير الملكة إيزابيلا مصورين لها نضوب الخزائن الملكية واحتمال أن يكتشف كولمبس ذهب جزر الإنديز، حتى بدت الملكة على أهبة الاستعداد لأن ترهن مجوهراتها لتمويل الرحلة، وتمنى سانتاجيل أن يحصل على إذن يخوله إقراض المال بنفسه، وقد كان، حيث قدم حوالى ١,٧٠٠ دوكات أى ما يعادل ٢٠,٠٠٠ الف دولار وهو يساوى ١٦٠,٠٠٠ بقيمة المال اليوم [عام ١٩٢٠]. ومن المحتمل أن القرض قد فاق تكاليف الرحلة.

وقد رافق كولمبس فى الرحلة خمسة يهود على الأقل هم؛ لويس دى توريز المترجم، ماركو الجراح، بيرنال الفيزيقي، الونزو دولاكال وجابرييل سانشيز، كما وأن الأدوات الفلكية والخرائط التى استخدمها الملاحون كانت يهودية الأصل. وكان لويس دى توريز أول رجل تطأ قدمه الأرض الجديدة، بل وأول من اكتشف استخدام الدخان، وقد استقر دى توريز بكوبا، ويقال إنه هو من أسس للسيطرة اليهودية على صناعة الدخان كما هو الحال اليوم. وقد نال عملاء كولمبس القدامى العديد من المزايا للدور الذى قاموا به، غير أن كولمبس نفسه أصبح ضحية لمؤامرة دبرها بيرنال طبيب السفينة، وتلقى معاملة سيئة للغاية، ثم انتهى به الأمر إلى السجن كمكافأة له.

بدأ اليهود ينظرون لأمرىكا — منذ تلك اللحظة — على أنها حقل خصب، وبدأت أفواج المهاجرين تتجه بقوة صوب أمريكا الجنوبية وعلى الأخص البرازيل، ولكن مساهمة اليهود العسكرية فى أحد الخلافات التى نشبت بين البرازيليين والهولنديين جعلت يهود البرازيل يرتأون ضرورة الهجرة وهو ما فعلوه، حيث هاجروا باتجاه إحدى المستعمرات الهولندية، أو ما يطلق عليه الآن مدينة نيويورك. فى البداية لم يلق الوجود اليهودى ترحيباً من عمدة المدينة الهولندى آنذاك پيتر ستيفسانت الذى اعترض على استقرار اليهود بين السكان المحليين وأمرهم بالرحيل، غير أن اليهود كانوا قد أخذوا حذرهم، وحتى يتأكدوا من أنه سيتم استقبالهم حتى وإن لم يكن مرحباً بهم، قاموا بشراء أسهم فى الشركات؛ ولذا بعد

إبطال أمر ستيفسانت بترحيلهم، قال المديرون الذين وافقوا على استقبال اليهود بأن السبب الأهم الذي حتم عليهم ذلك هو " رأس المال الضخم الذي استثمروه في أسهم الشركة". ورغم ذلك فقد منعوا من الالتحاق بالخدمة العامة، ولم يسمح لهم بافتتاح محلات البيع بالتجزئة والتي كانت ستقودهم لمجال التجارة الخارجية – التي بدأوا في ممارستها كلها بشكل يقارب الاحتكار بسبب صلاتهم بأوروبا. هذا فقط مثال من آلاف الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها على ثروة اليهودى. فإذا فرضت عليه حظرا من ناحية ستجده يبرع في ناحية أخرى، وحينما حظر عليه الاتجار في الملابس الجديدة قام بالاتجار في الملابس المستعملة، و دشّن ذلك بداية عمليات التهريب المنظم للملابس المستعملة. وحينما حرم عليه الاتجار في البضائع تاجر فى السفنات، فاليهودى هو من أسس لتجارة السفنات فى العالم ، بمعنى آخر لقد عثروا على الثروة فى حطام الحضارة و علموا الناس كيفية استخدام السجاجيد القديمة وكيفية تنظيف الريش القديم والاستفادة من جلود الأرناب وقد طوروا تجارة الفراء والتي يحتكرونها الآن، وإليهم ينسب كذلك تحويل العديد من أنواع الجلود إلى علامات تجارية جذابة، والترويج لها على أنها أنواع من الفراء ذات درجة عالية من الجودة. وكان اليهود هم أول من أعطوا لفكرة التجديد قيمة تجارية، حيث إننا سنجد فى هؤلاء "الكهنة الرجال" – الذين نفخوا فى أبواقهم فى مدننا وأنقذوا المكواة القديمة والزجاجات القديمة والأوراق والمنسوجات القديمة – سنجدهم نسل أولئك اليهود الأوائل الذين برعوا فى تحويل (المصائب) إلى نجاح ونفاية الأرض إلى مادة ذات قيمة.

وفى حركة تخلو من الذكاء، أجبر سيتر ستيفسانت اليهود على جعل نيويورك الميناء الرئيسى فى الولايات المتحدة، ولكن بعد ذلك أجبر غالبية يهود نيويورك على الفرار إلى فيلادلفيا أثناء الثورة الأمريكية، إلا أن معظمهم أب إلى نيويورك فى أقرب فرصة واتتهم، ويبدو أن الدافع الغريزي جعلهم يدركون بأن نيويورك ستكون فردوس المنفعة الرئيسية لهم فى الأيام الآتية وقد تأكد صدق حدسهم، ذلك أن نيويورك استقر بها أكبر تجمع يهودى فى العالم، وغدت البوابة التي يتم من خلالها فرض ضرائب على معظم صادرات و واردات أمريكا، كما أنها صارت – عمليا – معقل التجارة فى أمريكا، وتدين بالفضل فى ذلك لسادة المال، أما أرض المدينة ذاتها فقد صارت هى الأخرى ضمن حيازات اليهود، وتكشف قائمة بمالكي

العقارات فى المدينة أنه نادرا ما يوجد اسم لمالك غير يهودى، وبالتالي لم يكن أمراً مستغرباً أن الكتاب اليهود — حينما رأوا هذا الرخاء غير المسبوق والنمو فى الثروة والنفوذ اليهودى — كانوا يصيرون بشكل حماسى بأن الولايات المتحدة هى بالفعل الأرض الموعودة والتى تنبأ بها الأنبياء، وأن نيويورك هى القدس الجديدة، بل إن البعض ذهب إلى حد تشبيه قمم جبال الروكى بأنها جبال صهيون، كما أن هناك سبباً آخر يتمثل فى الثروة المعدنية والساحلية التى كانت بحوزة اليهود.

هذا النفوذ كاد يتعرض للتهديد حينما ظهر مشروع مقترح بإنشاء ممر مائى من شأنه أن ينشئ ميناء فى كل مدينة كبيرة على البحيرات العظمى، وأن يأخذ من نيويورك الهيبة التى احتفظت بها باعتبارها البوابة التى تتوقف عندها خطوط السكك الحديدية الرئيسية، هذا الأمر حدا باليهود لتقديم احتجاجات شديدة كان الدافع الرئيسى ورائها هو أن معظم ثروتهم الموجودة فى نيويورك تعتمد بالأساس على أن تظل نيويورك كذلك، وسوف تتحول هذه الثروة إلى قيمة زائفة مصطنعة فى حال ما إذا جد أى تطور من شأنه أن يحول نيويورك إلى مدينة عادية على الساحل وليست المدينة التى يقطن بها ممولو الضرائب لجباية الضرائب، ونتيجة لذلك كان لابد من عمل أى شىء لايقاف المشروع وإلا فإن معظم ثروة اليهود فى المدينة سيكون مآلها التناقص. لقد كان الوضع راتعا قبل الحرب، أما ما آل إليه الأمر الآن، فإن الإحصائيين سيجدون الأمر صعبا بمكان للحديث عنه.

فى خلال خمسين عاما زاد تعداد السكان اليهود فى الولايات المتحدة من ٥٠,٠٠٠ (خمسين ألف نسمة) إلى ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة، ويقطن فلسطين حوالى مائة ألف نسمة، أما الجزر البريطانية فيبلغ تعداد اليهود فيها حوالى ثلاثمائة ألف نسمة، وهذه نقطة تحسب لصالح اليهود؛ لأن السيطرة الكبرى والواضحة التى يمارسها اليهود فى انجلترا فيما يتعلق بالشئون الهامة كانت ستجعل الوضع شديد الصعوبة بالنسبة لليهود الأكثر فقرا إذا تواجدوا فى انجلترا بأعداد أكبر، وبالتالي من المستحسن أن يتواجدوا فى بريطانيا بأعداد قليلة، ويعترف بعض البريطانيين — الذين يتمتعون بدرجة من الوعى — بأن مشاعر العداة للسامية قد تطفو على السطح فى بريطانيا فى سبيل قضية ما، غير أن هذه المشاعر لن تظهر — بأى حال من الأحوال — ضد اليهود الأغنياء الذين لا يمكن الوصول إليهم والذين فى أيديهم مقاليد السيطرة على الأمور السياسية والشئون

الاقتصادية العالمية، وربما يكون صحيحا أن أكثر الأسباب شيوعاً لمعاداة السامية هو أفعال اليهودى الدولى (العولمى) (*)، والذي هو فى العادة غير معروف، وأمن، بينما يكون ضحية ذلك هو اليهودى الفقير، ولكن العداة للسامية سيكون موضوع المقال القادم. وإذا ما تفحصنا أعداد اليهود فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة سنجد أنها تشير إلى أن النفوذ الخارق الذى تمتع به اليهود المليون لم يكن فى واقع الأمر معتمدا على أعداد اليهود، ولكن الحقيقة المذهلة حول اليهود تتمثل فى كون هذا النفوذ العالمى — الذى لا يجابه — قد اقترن بتدنٍ نسبى فى أعداد اليهود، حيث إن هناك حوالى أربعة عشر مليون يهودى فى العالم، وهم مماثلون فى هذا التعداد مع الكوريين، وسنرى لاحقا كيف أن هذه المقارنة مع الكوريين ستكون بمثابة دليل حى على مدى النفوذ الذى يمتلكه اليهود. فى عهد جورج واشنطن — على سبيل المثال — كان هناك حوالى أربعة آلاف يهودى فى البلاد، وكان معظمهم من التجار الميسورين الذين كانوا يفضلون الاستقرار بالساحل الأمريكى، وكان من بينهم حاييم سولمون الذى ساعد المستعمرات بإقراض ثروته كلها فى وقت حرج . غير أن هؤلاء وجدوا صعوبة فى الاندماج فى المجتمع ولم يشغلوا أى وظائف عادية أو حتى فى قطاع الزراعة، ولم يبدوا اهتماما يذكر بعملية الصناعة، ذلك أن جل اهتمامهم تركز على عملية البيع، ولم يظهر اليهود اهتماما بعملية الصناعة إلا مؤخراً، ولكن حتى عمليات الصناعة التى انخرطوا فيها كانت ملحقة بخط التجارة. الصناعة من شأنها أن تدخر الربح، والنتيجة لم تكن تقليص تكاليف المنتج للجمهور ولكن على العكس من ذلك ؛ لأن أحد ملامح العمل اليهودى — كما اتضح — تمثلت فى جعل الاقتصاديات تتم لصالح العمل وليس لصالح الجمهور.

بالنسبة لليهودى كلمة العمل مرادفة للمال، أما ما يفعله اليهودى الناجح بالمال بعد أن يحصل عليه فنلك قصة أخرى، ولكن لا يسمح له بالتورط فى "وحد المثالية"؛ لأن ذلك الأمر من شأنه أن يحول بينه وبين الحصول على الدولار. أما فيما يتعلق بأرباحه المالية فلا يجب أبداً أن ترتبط بالإصلاحات التطوعية التى يحاول من خلالها حفنة من الرجال تحسين ظروف العمال. وهذا الأمر لا يعود بأى حال من الأحوال لأن اليهود قاسية قلوبهم بالضرورة، وإنما هو مرتبط

(*) كما عرفنا، كتب هنرى فورد مقالات الكتاب سنوات ١٩٢٠ إلى ١٩٢٢م، ولم يكن مصطلح العولمة ظهر ذلك العصر، ونعتقد أن ما قصده بالدولى، هو ما نقصده بالعولمى اليوم.

بالدرجة الأولى بالتصور اليهودى لمفهوم العمل، فالعمل هو مسألة أموال وسلع وليس مسألة أشخاص، ووفقا لهذا المبدأ إذا كنت تمر بمعاناة وقلق فسوف يتعاطف معك اليهودى، أما إذا كان بيتك هو أحد عناصر نزاع العمل بينك وبينه فهو يتعامل بمبدأ أنك أنت وبيتك كيانان منفصلان؛ لأنه وفق نظريته للعمل فإنه يجد صعوبة شديدة فى "أنسنة" هذا البيت؛ لأن ذلك معناه أن يسلك سلوكاً أكثر رحمة من السلوك الذى يصفه بعض الناس بأنه "قاس"، أما اليهودى نفسه فلا يشعر بأن هذه التهمة عادلة؛ لأنه يبرر ذلك السلوك بأن الأمر فى النهاية ما هو إلا "عمل".

وربما فى خلال هذا الإطار يمكن توضيح ظاهرة « محلات العرق » اليهودية فى مدينة نيويورك، فحينما أشفق أفراد الأمة العطفون على فقراء يهود محلات عرق نيويورك، لم يكن لديهم أدنى علم بأن أصحاب فكرة ومديرى تلك المحال هم أنفسهم من اليهود، وبالفعل فعلى الرغم من أنه فخر لبلدنا بأنه لا يوجد اضطهاد للأفراد بسبب لونهم أو جنسهم أو عقيدتهم الدينية، فالحرية مؤمنة للجميع غير أن الحقيقة التى رصدها كل المحققين تقول بأنه إذا كانت هناك معاملة غير إنسانية عومل بها اليهودى، فمصدرها دائما يأتى من قومه والقيمين عليه وسادته، وليس هناك دليل على أن أيا من "صاحب المحل" أو العامل - كلاهما يهودى - قد تعامل مع هذا الأمر على أنه وضع ليس إنسانياً أو قاسياً، وإنما كانوا يعتبرونه "عمل"، وكان العامل اليهودى يعيش على أمل أنه فى يوم ما ستكون لديه غرفة مليئة بالأفراد الذين يحيكون له الملابس، هذا الأمل حثهم على الاهتمام اللانهائى بـ "العمل" والطموح الشديد للعمل من أجل تحقيق هدف أساسى ألا وهو صعود السلم المهنى والتحول إلى سادة يعملون، بدون أدنى إحساس بالقهر أو الظلم، وهو على كل حال أسوأ شىء يسببه الفقر. ولا ينظر اليهود مطلقا للعمل الشاق على أنه نكبة، كما أنهم لا يعتبرون أنهم سيظلون قابعين فى المراتب الدنيا من الوظائف للأبد، وبالتالي فهم يبذلون طاقاتهم فى محاولة الصعود بدلاً من إلقاء اللوم على الظروف التى يعملون فيها، أو حتى محاولة العمل على تحسينها.

كل ما ذكر هو أمر محمود من الناحية الفردية ولكن على المستوى الاجتماعى هو أمر ضار؛ لأنه حتى وقت قريب كانت المراتب الدنيا من الوظائف غير مراقبة [ليست خاضعة لأى إشراف من الدولة] ولم تر الدوائر العليا ضرورة حتمية فى استحداث إصلاحات ومكاسب صناعية، ورغم أن لليهود سجلاً عظيماً فى مجال

الأعمال الخيرية إلا أن سجلهم فى الإصلاح الصناعى لا يكاد يذكر . وإذا كان التعاطف المحمود الذى يكونه لذويهم يدفعهم للتبرع بجزء من أرباحهم لتصحيح بعض من الحاجات الإنسانية التى نتجت عن الطريقة التى يحصلون بها على أرباحهم، فإنه يبدو من الناحية الأخرى أن فكرة إصلاح الطريقة التى يحصلون بموجبها على أرباحهم – حتى تختفى الحاجات وأوجه القصور الناتجة عن ذلك أو حتى تنقلص – هو أمر لم يطرأ على أذهانهم. وللتدليل على ذلك فإن هناك عددًا من الأسماء الخيرة بين صفوف اليهود الأغنياء، ولكن لا يوجد فى مقابل ذلك اسم واحد يؤيد الأنسنة الفعالة للصناعة وطرقها وعوائدها. وهذا أمر سئ ولكنه مفهوم، بل أهم من ذلك أنه يكشف عن العديد من الأمور التى يلام عليها اليهودى من قبل أولئك الذين لا يفهمون طبيعته، وربما يسمح اليهودى للآخرين بأن يشاركوه جزئيًا نتائج الرفاهية التى يتمتع بها، غير أنه لن يذهب بعيدا فى السماح بتقاسم العمليات التى أدت لهذه الثروة أو حتى المشاركة فى الثروة أثناء صناعتها، ولا يجب أن يفهم هذا السلوك على أنه تم بدافع اللإنسانية وبلادة الشعور، وإنما بدافع المفهوم المتأصل لدى اليهودى حول قواعد لعبة العمل، فى ضوء هذا المفهوم تبدو بعض مقترحات الإصلاح الصناعى ضربا من الجنون، مثلما يعتبر اقتراح أن تنسب إحدى ضربات البيسبول لصالح الخصم على اعتبار أنه أمر إنسانى.

اليهودى الأمريكى لا يندمج فى المجتمع، هذه حقيقة ليس الغرض منها تقريعه أو كيل اللوم له، فاليهودى بإمكانه الاختلاط مع الأمريكيين إن أراد، ولكنه لا يفعل ذلك. وإذا ما حدث وتحقق هذا الاختلاط وتصادف أن تعرض لتحامل ضده – باستثناء نوع من التحرى يثيره النجاح الخارق لهم – فسيكون ذلك التحامل بسبب ترفعهم. لا يتم الاعتراض على اليهودى لشخصه أو لعقيدته أو لجنسه. وقيمه الروحية يشاركه فيها العالم بأسره، ولكن رغم ذلك فهو لا يندمج؛ لأنه يحيا على الشعور بالتفرد وبكونه غير منتم. هذا ما يميزه ويجعله متفردًا عن الآخرين، ومن وجهة نظر معينة قد يكون هذا تمييزًا رائعًا، ولكن لا يجب أن يكون هذا التمييز مبررًا دائمًا لشكواه ضد الأغيار (*) بصفة عامة، ذلك أن هنالك ميلاً يهوديًا لفعل ذلك. ولكن بدلا من الشكوى من الأفضل أن يوضح للأغيار ما هو الموقف الحقيقى لليهود من المسألة اليهودية، وحينما قال أحد اليهود الشباب: " هناك فرق كبير بين

(*) الأغيار، غير اليهود، الجنتيل (Gentiles).

اليهودى الأمريكى والأمريكى المتهود، فالأخير هو من الأغيار الهواة، مكتوب عليه أن يظل طفيلياً للأبد. " إن الجيتو ليس نتاجاً أمريكياً وإنما هو استيراد يهودى صرف، ذلك لأنهم اختاروا أن يعزلوا فى تكوينات اجتماعية متميزة، وتقول الموسوعة اليهودية فى معرض تعليقها على هذا الموضوع: " إن التنظيم الاجتماعى لليهود المقيمين فى الولايات المتحدة مختلف بعض الشيء عن هذا التنظيم فى بلدان أخرى، ذلك أن اليهود سعوا - بدون أى إجبار - للعيش جنباً إلى جنب وهى صفة مميزة مازالت سائدة".

وإذا أردنا عمل قائمة بمجالات العمل التى سيطر عليها يهودو الولايات المتحدة، فإن ذلك يعنى أننا حتما سنضع أيدينا على معظم الصناعات الحيوية للسبلاد. وصناعة المسرح - وكما يعلم الجميع - هى صناعة يهودية بحتة. إنتاج المسرحيات والحجز وعمليات المسرح كلها فى يد اليهود، وهذا من شأنه أن يفسر حقيقة أنه فى كل عملية إنتاجية يمكن أن تشتم رائحة الدعاية، وربما من خلال إعلانات تجارية صارخة لا يعود أصلها للكتاب المسرحيين وإنما للمنتجين. وتشمل القائمة كذلك:

- صناعة السينما.
- صناعة السكر.
- صناعة الدخان.
- ما يقرب من نصف صناعة تغليف اللحوم.
- ستين بالمائة من صناعة الأحذية.
- الملابس الجاهزة للرجال والنساء.
- معظم متعهدى الحفلات الموسيقية.
- المجوهرات.
- الحبوب.
- القطن.
- تأليف المجلات.
- نشرات الأخبار.

• الكحول والقروض.

هذا فقط لذكر بعض الصناعات التي تقع تحت سيطرة اليهود فى الولايات المتحدة إما بمفردهم أو بالشراكة مع يهود آخرين وراء البحار. وسيددهش الأمريكيون إذا ما رأوا قائمة برجال الأعمال الأمريكيين تلون الهيبة التجارية فيما وراء البحار، وهم فى معظمهم يهود ولديهم فهم لقيمة الاسم الأمريكى، وحينما تكون فى بلد أجنبى وتصل إلى مكتب يحمل علامة "الشركة الأمريكية للاستيراد" أو " الشركة التجارية الأمريكية" أو غيرها من الأسماء الفضاضة، تذهب هناك أملاً فى أن تجد شخصاً أمريكياً، غير أنك بدلاً من ذلك تجد شخصاً يهودياً كل علاقته بأمريكا هورحلة قصيرة قام بها، وربما يلقى هذا بعض الضوء على الطريقة التى تدار بها طرق العمل الأمريكية فى بعض أنحاء العالم، حيث يمكن لحوالى ثلاثين أو أربعين جنسية مختلفة أن تقوم بالعمل تحت الاسم الأمريكى، بل وتقوم به بشكل قانونى، لذا ليس بمستغرب أن الأمريكيين لا يدركون بعض ملامح أسلوب العمل الأمريكى والتى يتم تغطيتها فى الصحافة الأجنبية. وكان الألمان يشكون منذ فترة طويلة بأن العالم يحكم على الألمان من خلال صورة التاجر اليهودى الرحالة والذى يتحدث بالألمانية.

وتبدو حوادث الرخاء اليهودى فى الولايات المتحدة أمراً شائعاً، ولكن الرفاهية وهى مكافأة عادلة لبعد النظر والتطبيق، لا يجب أن تُخلط بالسيطرة والاحتكار. أما فيما يتعلق بالرفاهية التى حازها اليهود، فيمكن لأى مجموعة أخرى أن تحوزها، فقط إذا ما كانت على استعداد لدفع الثمن الذى دفعه اليهود وهو ثمن غال جداً، وكقاعدة، فكل شىء يمكن أن يوضع تحت الاعتبار. ولكن سيكون من المستحيل على أى تحالف من الأغيار، وفى ظل ظروف مشابهة أن يحوز ذات السيطرة التى حصل عليها اليهود، لسبب غير متوافر فى الأغيار، وهو صفة العمل معا واتحاد الهدف والتماسك الذى يفرضه الانتماء لمجموعة عرقية واحدة، وهو مايميز اليهود. فبالنسبة للأغيار لا يهتمهم فى شىء أن هناك أغياراً آخرين، أما بالنسبة لليهودى فيهتم كثيراً إذا ما علم أن الرجل الذى يقف ببابه ما هو إلا يهودى آخر مثله. يمكن القول إذن بأن اليهودى قد صادفه النجاح فى كل شىء جربه فى الولايات المتحدة فيما عدا الزراعة، والمبرر الذى غالباً ما يقدم فى الأدبيات اليهودية هو أن الزراعة العادية تعد أمراً بسيطاً للغاية لأن ينخرط فيه اليهودى بمواهبه وذكائه،

وبالتالى فهو غير مهتم بها لإنجاحها، ولكنه حقق نجاحا فى صناعة الألبان والماشية وهى صناعة تحتاج "للعقل". وقد بذلت محاولات عديدة فى أنحاء عدة من الولايات المتحدة لبدء إنشاء مستعمرات زراعية يهودية ولكنها قصة من الفشل المتواصل، وقد عزا البعض هذا الفشل إلى نقص معرفة اليهود بالزراعة العلمية، بينما قال آخرون بأنه يعود إلى كراهية اليهود للعمل اليدوى، وقال آخرون إنه يعود إلى نقص عنصر المضاربة فى الزراعة. فى كل الأحوال فإن اليهودى حقق نجاحا فى الوظائف غير المنتجة عن الوظائف المنتجة. وبعض دارسى المسألة يقولون بأن اليهودى لم يكن أبدا إنسانا يهتم بالأرض ولكنه كان دائما تاجرا، وأحد البراهين على تأكيد ذلك هو اختيار اليهود لفلسطين لأن تكون بلادهم، هذا القطاع من الأرض الذى يشكل بوابة بين الشرق والغرب، والذى هو أيضا قبلة المرور البرى للعالم.

(ديربورن إندپندنت، عدد ٥ يونيو ١٩٢٠م)

* * *